

مخاطر الإصابة بالسرطان... ماذا تعني الأرقام؟

مؤسسة (مايو) الطبية

4 أبريل 2009

Cancer Risk: What the Numbers Mean

Mayo Foundation for Medical Education and Research

ترجمة: علي الحارثي

قد يتساءل كل منا حول احتمال إصابته بالسرطان يوماً ما. لكن الأرقام الواردة من الإحصائيات المجراة قد لا تعطي صورة صحيحة عن الاحتمالات. كما إن القسم الصحي من نشرات الأخبار يجعل الأمور تبدو كما لو أن العلماء يضيفون كل يوم مادة تفاقم خطر الإصابة بالسرطان. وفي خضم كل هذا الكم من المعلومات لا يمكن التعويل على انتقاء الصائب منها دون معايير محددة.

ما هو خطر الإصابة بالسرطان؟

عندما يتكلم العلماء عن خطر الإصابة بالسرطان فإنهم يتحدثون بلغة الاحتمالات. أي أن فرصة الإصابة قد تقع. لكنهم لا يضمنون حصولها. وكمثال على هذه الاحتمالية ما يجري عند رمي قطعة نقدية معدنية. فهناك احتمال أن تقع حالة من اثنتين (أي 50%) بأن تستقر القطعة وأحد وجهيها للأعلى.

إن تقديرات احتمالات الإصابة بالسرطان والأمراض الأخرى تتحدد من خلال دراسة مجموعات كبيرة من الأشخاص لتحديد نسبة الاحتمال المتعلقة بإمكانية تطور المرض لدى أي شخص أو فئة من الأشخاص خلال مدة زمنية معينة. ولمعرفة الخصائص والسلوكيات المترافقة مع ازدياد نسبة الاحتمال أو انخفاضها.

كيف يتم التعبير عن خطر الإصابة بالسرطان؟

يصنف خطر الإصابة بالسرطان على نحو عام إلى قسمين:

مخاطر الإصابة بالسرطان... ماذا تعني الأرقام؟

1. الخطر المطلق (Absolute Risk)

يشير الخطر المطلق إلى القيمة الحقيقية لاحتمال تطور سرطان خلال مدة زمنية محددة. كأن تكون هذه المدة (على سبيل المثال): خلال السنة الراهنة، خلال السنوات الخمس القادمة، عند سن الخمسين، عند سن السبعين، أو خلال أي فترة من حياة الإنسان.

ومن أنواع الخطر المطلق نذكر (الخطر على مدى الحياة): وهو احتمال تطور سرطان لدى الفرد خلال حياته. فمثلاً: يبلغ (الخطر المطلق على مدى الحياة) لإصابة الرجل الأمريكي بسرطان البروستات حوالي 17%. أي بتعبير آخر: حوالي 17 من كل مئة رجل أمريكي سيصابون بسرطان البروستات في وقت ما خلال حياتهم، ولن يصاب بهذا المرض 83 من كل مئة رجل أمريكي.

وينبغي التذكير هنا أن خطر الإصابة على مدى الحياة لا يعني أن الفرد سيصاب بالمرض المعني في السنة القادمة أو خلال السنوات الخمس القادمة، وإنما يعتمد ذلك على توفر عدة عوامل من بينها العمر. فمثلاً: يبلغ الخطر على مدى الحياة لإصابة المرأة بسرطان المستقيم أكثر من (5%) بقليل (حوالي 523 امرأة من كل 10 آلاف): لكن خطر الإصابة بهذا المرض قبل سن الأربعين يبلغ (0.07%) أي (7 من كل 10 آلاف امرأة).

2. الخطر النسبي (Relative Risk)

إن (الخطر النسبي) هو مقارنة أو نسبة، وليس قيمة مطلقة: فهو يظهر قوة العلاقة بين عامل الخطر ونوع محدد من السرطان عبر المقارنة بين عدد حالات السرطان في مجموعة تتميز بتعرضها الخاص للعامل السابق وعدد حالات السرطان لدى مجموعة ليست لديها هذه الميزة.

وعلى سبيل المثال، قد يقارن الخطر النسبي بين خطر الإصابة بسرطان الرئة لدى مجموعة من الرجال المدخنين وخطر الإصابة بهذا السرطان لدى مجموعة أخرى من الرجال

مخاطر الإصابة بالسرطان... ماذا تعني الأرقام؟

غير المدخنين؛ وقد تسمع بهذا الخطر بالصيغة التالية: يبلغ خطر الإصابة بسرطان الرئة عند الرجال المدخنين 23 ضعف مثيله لدى الرجال غير المدخنين. وهذا يعني أن الخطر النسبي للإصابة بسرطان الرئة عند الرجال المدخنين يساوي 23.

وقد يأتي الخطر النسبي بصيغة نسبة مئوية أيضا. فمثلا: خطر الإصابة بسرطان الرئة عند الرجال المدخنين أكبر بـ(2300%) من مثيله لدى الرجال غير المدخنين. وينبغي التنبيه هنا إلى غياب الحد الأعلى في نسبة زيادة الخطر عندما يكون الخطر نسبيا. حيث يظن معظم الناس أن (100%) هي أعلى قيمة لاحتمال الخطر. لكن ذلك غير صحيح عندما نتكلم عن الخطر النسبي. وإذا كان الخطر النسبي يساوي (100%) فهذا يعني أن خطر الإصابة لدى مجموعة تعرضت لعامل الخطر يساوي مثلي الخطر لدى مجموعة أخرى لم تتعرض لذلك العامل؛ أما إذا كان (200%) فهذا يعني أن خطر الإصابة ارتفع إلى 3 أمثال شبيهه لدى المجموعة الأخرى.

إن الخطر يبدو أعظم باستخدام صيغة الخطر النسبي؛ فالخطر النسبي إذا كان (100%) يبدو احتمال الإصابة هائلا. لكن إذا كان الخطر المطلق (1%) في البدء. فهذا يعني أن الخطر الفعلي قد ازداد إلى (2%) وفق قيمة الخطر النسبي السابقة.

من أين تستحصل إحصائيات خطر الإصابة بالسرطان؟

تأتي معظم معلومات خطر الإصابة بالسرطان والعوامل الخطرة من دراسات علم الأوبئة التي تركز في عملها على مجموعات بشرية كبيرة العدد يجري تصنيفها بحذر. وقد شخّص الباحثون في مجال السرطان العديد من العوامل البيئية الخطرة التي تساهم في الإصابة بالسرطان بما فيها: التدخين (سرطان الرئة)، وأشعة الشمس (سرطان الجلد)؛ لكن الكشف عن العوامل الدقيقة الأخرى تثبت صعوبته على المستوى العملي.

مخاطر الإصابة بالسرطان... ماذا تعني الأرقام؟

تستند الكثير من الدراسات المتعلقة بالعوامل الخطرة المؤدية للإصابة بالسرطان على مناهج تعتمد على المراقبة. ففي هذه الدراسات يبقى الباحثون على اطلاع بما يجري لمجموعة من الأشخاص خلال عدة سنوات دون التدخل لتغيير حياتهم أو تقديم علاج خاص. وهذا يفيد العلماء في اكتشاف من يتطور لديه المرض. والأمور المشتركة بين المصابين. وبماذا يختلفون عن من لم يصابوا.

كيف ينطبق خطر الإصابة بالسرطان على الأصحاء؟

يمكن لإحصاءات مخاطر الإصابة بالسرطان أن تصيب الأصحاء بالإحباط لأنها غير قادرة على أن توفر لكل واحد منهم جواباً محدداً. فعندما تكتشف الدراسات أن الرجال يتعرضون لخطر الإصابة بالسرطان بنسبة (50%) خلال حياتهم فهذا لا يعني أن أي رجل يتعرض لخطر الإصابة بالسرطان بالنسبة ذاتها. ذلك أن الخطر الفردي يتحدد وفق عوامل مختلفة: كالعادات، وحالات الإصابة بالسرطان في العائلة، والبيئة التي يعيش فيها. وحتى إن توفرت تلك العوامل جميعها، فإنها قد لا تؤثر لأن السرطان مرض ذو خصوصية عالية تختلف من فرد لآخر. فقد يكون هنالك شخصان يتماثلان في العمر والجنس والحالة الاجتماعية والاقتصادية ويعيشان بشكل متشابه لكنهما يصابان بالأمراض على نحو مختلف.

إن الإحصائيات المتعلقة بخطر الإصابة بالسرطان تساعد في صياغة عبارات عامة من أمثال: «ممارسة التمارين الرياضية بانتظام تبدو مترافقة مع انخفاض خطر الإصابة بالأمراض المزمنة كالسرطان»، لكن ممارسة الرياضة بانتظام لا تضمن عدم الإصابة بالسرطان. وهنا ينصح باستشارة الطبيب حول خطر الإصابة بالسرطان؛ إذ بإمكانه أن يراجع العوامل الخطرة المحيطة بك والتي قد تزيد من ذلك الخطر وعندها يمكن أن تناقش معه الإجراءات التي تساعد على انخفاضه.

مخاطر الإصابة بالسرطان... ماذا تعني الأرقام؟

لا تتسرع في استخلاص النتائج من الإحصائيات

ربما تسمع تقريراً إخبارياً عن دراسة تبدو وكأنها تشير إلى ازدياد احتمال إصابتك بأحد أنواع السرطان. وهنا ينبغي أن لا تقفز إلى استنتاج مبني على ذلك التقرير بمفرده. وإنما أعد التفكير مرة أخرى. وافهم ماذا يعني مفهوم خطر الإصابة بالسرطان.

إن الدراسات المبنية على المراقبة ليست معصومة من الخطأ. والباحثون يجمعون على أن دراسة بمفردها لا تمتلك شرعية طرحها كحقيقة ثابتة: وهذا يفسر وجود دراسات تؤدي إلى نتائج متناقضة مع نتائج دراسات أخرى. إن الباحثين يميلون إلى تقييم دلائل العديد من الدراسات خلال مدة من الزمن من أجل الحصول على قرار أفضل حول صوابية النتائج: أما التقارير الإخبارية فهي تركز على كل دراسة جديدة بمفردها دون النظر إليها باعتبارها جزءاً من صورة أكبر تتبين ملامحها يوماً بعد يوم. وهذا بدوره يؤدي في بعض الأحيان إلى زعر أو ارتباك لا ضرورة لهما.

إرشادات

عندما تقرأ عن إحصائية جديدة في مجال خطر الإصابة بالسرطان، ينبغي الانتباه إلى التفاصيل التالية:

1. ماهية الشريحة المدروسة

قد يشير تقرير إخباري إلى دور ما لأحد الأنشطة في تطور السرطان لدى شريحة من الناس: وهنا يأتي السؤال: ما هي الشريحة المدروسة؟ إذ ينبغي الانتباه إلى الأعمار والمميزات. فمثلاً: هنالك من لديه استعداد وراثي لأنواع محددة من السرطان.

2. حجم الشريحة المدروسة

يمكن القول بشكل عام أن الدراسات التي تتضمن آلاف الأشخاص تكون أكثر دقة من تلك التي تتناول شريحة صغيرة من الناس.

مخاطر الإصابة بالسرطان... ماذا تعني الأرقام؟

3. وجود دراسات مشابهة

حيث تكون النتائج أكثر مصداقية عندما تتشابه نتائج دراسة جديدة مع نتائج دراسات سابقة.

إن التقارير الإخبارية التي تركز على الإحصائيات المنذرة بالخطر (ازدياد خطر الإصابة بالسرطان بنسبة 300% مثلا). ولا توفر السياق الذي تندرج فيه تلك الإحصائيات. إنما هي تقارير غير مفيدة؛ وإذا كنت مهتما بالخطر عليك أن تحصل على المزيد من المعلومات.